IUGJHR
Vol 24, No1, 2016, pp 134-143

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية

الظرف المبني "الآن" في القرآن الكريم "دلالةً واستعمالاً"

أ. محمود محمد البيك[1،*]

[1]مركز اللغات، الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية، غزة، فلسطين

تاريخ الإرسال (2015/06/21)، تاريخ قبول النشر (2015/07/13)

ملخص البحث

لقد اخترت أن أكتب في هذا البحث الموسوم بـــ الظرف المبني (الآن) ودلالته في القرآن الكريم "محاولاً الكشف عن وظيفة هذ الظرف الدلالية النحوية في سياق الآيات الواردة فيها من منطلق نحوي، لأنني أعتقد كما هو معلوم ومقرر أن للنحو معنى طرياً ونديا ينبغي أن يعرف ويكشف للدارسين وطلبة العلم، ولقد قمت بإحصاء الآيات التي ورد فيها هذا الظرف وشرحتها مبيناً وظيفة هذا الظرف النحوية منها وقد مهدت للحديث عنها بالظرف أو المفعول فيه بشكل موجز ومختصر ثم ذكرت أقوال النحاة وآراءهم في هذا الظرف، ثم أجريت الدراسة التطبيقية على هذا الظرف في القرآن الكريم، ثم ختمت البحث بخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع، سائلاً ربا كريماً التوفيق والسداد والقبول".

الكلمات المفتاحية: الظرف، الآن، الدلالة، القرآن.

The Adverbs Al-Aan in the Holy Quran Significant and Using

Abstract

I chose to write in this paper marked with the adverbs (Al-Aan) and its significant in the holy Quran, trying to detect the function of this semantic grammar of adverb in the context of the verses contained from grammatical perspective because I think as is well known and confirmed that for about Arabic grammar is dewy and flexible This should be reviled and demonstrated for learners and students of knowledge. I have counted the verses, which states that the envelope and I have explained, indicating the function of this circumstance grammatical ones have paved to talk about circumstance or effect it briefly and concise then reported sayings of grammarians and opinions in this circumstance, then applied study was conducted on this circumstance in the Quran, and then concluded Find a conclusion and then proven sources and references, liquid Lord generous help and guide and acceptance.

Keywords: The Adverbs, Al-Aan, Significant, Quran.

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل: mbeik@ucas.edu.ps

المقدمة:

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى وعلى آله وصحبه ومن دعا وجاهد واقتفى، وبعد

فإن العربية بجمالياتها المتعددة لا تضاهيها لغة من اللغات، كيف لا تكون كذلك وهي لغة القرآن الذي هو أبلغ كلام وأفصحه، وهي لغة البيان والإعجاز ذات الثراء الواضح في حروفها الهجائية الثمانية والعشرين، ثم هي متنوعة العلوم فمنها النحو الذي يضبطها والصرف الذي هو ميزان من موازين ضبطها، وسر من أبرز أسرار معرفة الأصيل من ألفاظها من المدخل والمعرب، ثم علم الأصوات الذي له وظيفة اجتماعية عامة وكذا الدلالة للمفردات المختلفة وفي علم البلاغة العربية بأضربه الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) أسرار فصاحة العرب وبيان كلامهم وتجليات جماله والأدب العربي شعراً ونثراً لا يضاهيه أدب في قوة النظم وحسن السبك واعتوار المعاني المتعددة.

ولقد اخترت أن أكتب في هذا البحث الموسوم بـــ الظروف المبني (الآن) ودلالته في القرآن الكريم "محاولاً الكشف عن وظيفة هذ الظرف الدلالية النحوية في سياق الآيات الواردة فيها من منطلق نحوي؛ لأنني أعتقد كما هو معلوم ومقرر أن للنحو معنى طرياً ونديا ينبغي أن يعرف ويكشف للدارسين وطلبة العلم، ولقد قمت بإحصاء الآيات التي ورد فيها هذا الظرف وشرحتها مبيناً وظيفة هذا الظرف النحوية فيها، وقد مهدت للحديث عنها بالظرف أو المفعول فيه بشكل موجز ومختصر ثم ذكرت أقوال النحاة وآراءهم في هذا الظرف، ثم أجريت الدراسة التطبيقية على هذا الظرف في القرآن الكريم، ثم اختتمت البحث بخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع، سائلاً ربا كريماً التوفيق والسداد والقبول".

الظرف:

الظرف لغة: الظَّرِيفُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظَّرْف، وَهُوَ الوِعاء، كأنه جَعَلَ الظَّرِيفَ وِعَاءً للأَدَب ومَكارِم الأَخلاق.[1]

وفي العشرات في غريب اللغة لابن أبي هاشم: "**الظّرْف** وَهُوَ الْوِعَاء فَكَأَنَّهُ جعل الظريف وعَاء للأدب وَالْعلم وَمَكَارِم الْأَخْلَاق".[2]

أما في الصحاح: "**الظَرْفُ**: الوِعاءُ. ومنه ظُروفُ الزمان والمكان عند النحويين. والظرف: الكياسَةُ. وقد ظَرُفَ الرجل بالضم ظَرافَةً، فهو ظَرِيفٌ، وقومٌ ظُرَفاءُ وظراف".[3]

ونلحظ من التعريف اللغوي للظرف أنه الوعاء الذي يحتوي على الفعل أو الحدث وهذا ما يذهب إليه التعريف الاصطلاحي أيضًا.

اصطلاحا: هو كل اسم من أسماء الزمان أو المكان يراد فيه معنى "في" وليست في لفظه، كقولك أقمت اليوم وجلست مكانك؛ لأن معناه أقمت في اليوم، وجلست في مكانك، فإن ظهرت في اللفظ كان ما بعدها اسما صريحا فصار التضمين ل(في)، تقول سرت في يوم الجمعة وجلست في الكوفة، والظرف على ضربين ظرف زمان وظرف مكان[4].

بيد أن صاحب شرح الكافية الشافية ومعه نفر من النحاة ذكر أن" مقاربة المعنى أجود من ذكر "في"؛ لأن تقدير(في) يوهم جواز استعمال لفظ (في) مع كل ظرف، وليس الأمر كذلك؛ لأن من الظروف مالا يدخل عليه (في)، مثل : عند، مع، وكلها مقارب لمعناها مادام ظرفا[5].

والظرف قد يكون متصرفا وغير متصرف؛ فالمتصرف من ظروف الزمان والمكان هو ما استعمل ظرفا وغير ظرف وقد يكون معربا متصرفاً كيوم وشهر أو غير متصرف كبكرة وغدوة إذا كانت منها علم على وقتها المعين، وقد يكون مبنيا كأمس وإذ، نحو: ساعتئذ[6].

---

[1] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (229/9).

[2] العشرات في غريب اللغة، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي (ص:41).

[3] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (1398/4).

[4] اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي (55/1).

[5] شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله ابن مالك (675/2).

[6] ضياء السالك الى أوضح المسالك، عبد العزيز النجار (161/2).

وغير المتصرف أيضا هو الذي لا يفارقها إلا إلى الجر بمن في الأكثر، نحو: عند، لدن، قبل، بعد، تحت، فوق.

وهناك الظروف المركبة؛ وهي ظروف غير متصرفة تلزم الظرفية وهي مبنية على فتح الجزأين في محل نصب، نحو: صباح مساء، ليل نهار، يوم يوم، حين حين.[7]

وسنفصل الحديث حول هذا الظرف المبني غير المتصرف في القرآن الكريم.

الآن:

وقد ورد في تعريفها الاصطلاحي النحوي عدة تعريفات، منها: "ظرف من ظروف الزمان معناه الزمن الحاضر، وهو الذي يقع فيه كلام المتكلم الفاصل بين ماضي، وما هو آت"[8]، وقد ورد مختصرا عند الزمخشري قبل أن يشرحه ابن يعيش حينما قال صاحب المفصل "وهو الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم".[9]

وقيل: "الآن لوقت حضر أو بعده وزعمه الفراء منقولا من آن".[10]

وعلى كل وبناء على التعريفات السابقة ووفقا لسياق الكلام العربي، فإن هذه الكلمة تدل على الزمان الحاضر عند زمن المتكلم وهي أقرب كلمة تدل على زمن المتكلم ذاته وقد وردت شواهد كثيرة عليها في القرآن الكريم تدلل على ذلك، ناهيك عن كلام العرب الذي يحتج به منثوره ومنظومه، بيد أن مجال الدراسة هو القرآن الكريم ذاته وهو سيد الحجج والأدلة النحوية كما هو معلوم ومعروف.

أما علة بنائه فهناك خلاف بين النحاة في هذا الأمر، فقد ذهب البصريون إلى أن علة بنائه مشابهة اسم الإشارة المبني، وذهب الكوفيون إلى دخول الألف واللام على الفعل الماضي (آن) من قولهم: آن يئين؛ أي حان وبقي الفعل على فتحته.[11]

وقد ذهب الزجاج إلى أنه مبني لتضمنه معنى اسم الإشارة موافقا بذلك البصريين وأن معناه هذا الوقت وردّ أن تضمين معنى الإشارة بمنزلة اسم الإشارة، وهو لا تدخله (أل)، وقال أبو علي لتضمنه لام (أل التعريف)؛ لأنه استعمل معرفة وليس علما و (أل) فيه زائدة، وصنفه ابن مالك بأن تضمن اسم معنى حرف اختصارا ينافي زيادة مالا يعتد به، هذا مع كون المزيد غير مضمن معناه فكيف إذا كان وإياه، وقال المبرد وابن السراج: لأنه خالف نظائره إذ هو نكرة في الأصل استعمل من أول وصفه باللام وباب اللام أن يدخله على الكسرة، وكذا قال الزمخشري: سبب بنائه ووقوعه في أول أحواله بالألف واللام؛ لأن حق الاسم في أول أحواله التجرد منها، ثم يعرض تعريفه فيلحقه، فلما وقع (الآن) في أول أحواله بالألف واللام خالف الأسماء وأشبه الحروف ورده ابن مالك بلزوم الجماء الغفير واللات ونحوها مما وقع في أول أحواله بالألف واللام بأنه لو كانت مخالفة الاسم لسائر الأسماء موجبة لشبه الحرف واستحقاق البناء لوجب بناء كل اسم خالف الأسماء بوزن أو غيره فهو باطل بإجماع، وقال ابن مالك بأنه يشبه الحرف في ملازمة لفظ واحد؛ لأنه لا يثنى ولا يجمع ولا يصغر بخلاف حين ووقت وزمان ومدة.[12]

---

[7] المرجع السابق (174/2).

[8] شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء المعروف بابن يعيش (132/3).

[9] المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (215/1).

[10] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (185/2).

[11] الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري (424/2).

[12] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (185/2).

ويرجِّح الباحث ما ذهب إليه ابن مالك من كون علة بنائه شبهه بالحرف في ملازمة لفظ واحد دون تثنية أو جمع أو تصغير أو غيره؛ لأن هذا ينطبق على ظرف (الآن) وهو اسم، علما أن الأسماء تثنى وتجمع وتصغر وتنسب وغير ذلك من دخول العلل الصرفية عليها؛ أما الحروف فلا، فالعلة في البناء هنا المشابهة للسبب المذكور آنفا على حد رأي الباحث.

أما مبنى الكلمة صرفيا فإن ألف (الآن) منقلبة عن واو لقولهم في معناه (الأوان)، وقيل عن ياء؛ لأنه من آن يئين إذا قرب، فقيل أصله أوان قلبت الواو ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين، وقيل حذفت الألف وغير الواو إلى ألف كما قالوا راح ورواح، استعملوه مرة على فعل ومرة على فعال كزمن وزمان[13].

ونذهب الى أن الألف منقلبة عن ياء؛ لأنه من آن يئين إذا قرب ويؤكد ذلك ما جاء عند صاحب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم "يقال: آن لك أن تفعل كذا أينا: أي حان، وروي أن الحسن قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16]. بكسر الهمزة وسكون النون على هذه اللغة".[14] وفي لسان العرب" وقد آن يئين، قال سيبويه: هو فعل يفعل".[15]

ومما يؤكد بناء الظرف (الآن) مشابهة علة بنائه لبعض الظروف المبنية الأخرى، ومن هذه الظروف الظرف المبني حيث.

"وفي "حَيْثُ" أربعُ لغات. قالوا: "حيثُ" بالضم، و"حيثَ" بالفتح، و"حَوْثُ"، و"حَوْثَ". وهي مبنية في جميعِ لغاتها، والذي أوجب بناءَها أنّها تقع على الجهات الست، وهي "خَلْف"، و"قُدامٌ"، و"يمِينٌ"، و"شِمالٌ"، و"فَوْقٌ"، و"تَحْت"، وعلى كلّ مكان، فأبهمتْ "حَيْثُ" ووقعتْ عليها جميعًا، فضاهتْ بإبهامها في الأمكنة "إذ" المبهمةَ في الأزمنة الماضية كلها. فكما كانت "إذْ" مضافة إلى جمله تُوضِحها، أُوضحتْ "حَيْثُ" بالجملة التي تُوضَح بها "إذْ" من ابتداء وخبر، وفعل وفاعل. وحين افتقرتْ إلى الجملة بعدها، أشبهتْ "الّذِي" ونحوَها من الموصولات في إبهامها في نفسها وافتقارِها إلى جمله بعدها تُوضِحها، فبُنيت كبناء الموصولات.

ووجهٌ ثان أنه ليس شيء من ظروف الأمكنة يُضاف إلى جمله إلَّا "حَيْثُ". فلمّا خالفت أخواتِها؛ بُنيت لخروجها عن بابها. ووجب أن يكون بناؤها على السكون؛ لأنّ المبنيّ على حركة ما كان له أصل في التمكن، وحالةٌ يكون معربا فيها، نحوَ: "يا زيدُ"، وبابِه في النداء، و"قبلُ"، و"بعدُ" ونحوِهما من الغايات. فأما "حَيْثُ" فلما لم تكن لهما هذه الحالةُ؛ كانت ساكنةَ الآخِرِ إلَّا أنّه التقى في آخرها ساكنان، وهما الياء والثاء، فمنهم مَن فتح طلبًا للخفة لثقل الكسرة بعد الياء كـــ "أيْنَ" و"كَيْفَ"، ومنهم من شبّهها بالغايات، فضَمها كـــ "قَبْلُ" و"بَعْدُ".[16]

فالظرف المبني الآن مبنيٌ لافتقاره إلى الإضافة للجملة بعده تماماً مثل حيث وإذ.

وكذلك (إذا): "من الظروف المبنية (إِذا) وَالدَّلِيل على اسميتها الْإِخْبَار بهَا مَعَ مباشرتها الْفِعْل نَحْو الْقيام إِذا طلعت الشَّمْس وإبدالها من اسْم صَرِيح نَحْو أجيئك غَدا إِلَى طلعت الشَّمْس وَهِي ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشَّرُوط غَالِبا وَمن ثمَّ وَجب إيلاؤها الْجُمْلَة الفعلية ولزمت الْفَاء فِي جوابها نَحْو ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النَّصْر: 1] إِلَى قَوْله ﴿فسبح﴾ وَقد لَا تضمن معنى الشَّرْط بل تتجرد للظرفية الْمَحْضَة نَحْو ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [اللَّيْل:1] و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضُّحَى: 2] وَزعم قوم أَنَّهَا تخرج عَن الظَّرْفِيَّة".[17]

---

[13] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي (185/2).

[14] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد اليمني (371/1).

[15] لسان العرب (40/13).

[16] شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش (114/3).

[17] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي (179/2).

كذلك الظرف المبني أيان يقول الزمخشري: "وأيان بمعنى متى إذا استفهم بها"[18] وفي شرحه يقول ابن يعيش: "أيان ظرف من ظروف الزمان مهم بمعنى متى"[19]

بيد أن هناك فرقا بين (أيان) التي هي ظرف للزمان وبين (متى) التي هي ظرف للزمان أيضا عند الاستفهام، ذلك أن (متى): "يستعمل في كل زمان بينما (أيان) لا يستعمل الا فيما يراد تفخيمه وتعظيمه"[20]

وفرق ثان هو أن "متى لكثرة استعمالها صارت أظهر من "أيان" في الزمان[21] أي أبرز وأكثر استعمالا من أيان وقد ذكر السامرائي في كتابه" معاني النحو" فرقا ثالثا وهو أن أيان تختص في الاستفهام بالمستقبل، بخلاف متى إنه يستعمل في الماضي والمستقبل".[22]

وقد يلاحظ أن لفظها يوحي بالاستبطاء عن متى، ذلك أن زيادة المبنى تعني زيادة المعنى كما هو مقرر صرفيا، وكلمة أيان أكبر في مبناها من كلمة "متى".

كما يتضح من دلالة لفظة (أيان) أن البليغ الفصيح لا يجوز له أن يقول مثلا: أيان أكلت، وأيان نمت، وأيان يبدأ الفصل الدراسي الثاني في الجامعة؛ لأن ذلك ليس من الأمور العظام وحينها تستبدل متى بلفظة أيان.

وجاء في إعرابها: أيان اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم[23]

وهي مشتقة من (أي) لأن معناه أي وقت وأي فعل قال ابن طبي: وأبى أن يكون من (أين) لأنه زمان و(أين) مكان وقال غيره: أصل أيان (أي آن) فهي مركبة من أي المتضمنة معنى الشرط وآن بمعنى حين، فصارتا بعد التركيب اسما واحدا للشرط في الزمان المستقبل مبني على الفتح، وكثيرا ما تلحقها ما الزائدة التوكيدية[24].

من الظروف المبنية لدن وهي لأول غاية زمان أو مكان، وبنيت لشبهها بالحروف في لزومها استعمالا واحدا، وهي كونها مبتدأ غاية وامتناع الإخبار بها وعنها ولا يبنى عليها المبتدأ بخلاف "عند" و"لدى" فإنهما لا يلزمان استعمالا واحدا، ويبنى عليهما المبتدأ قال تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ [الأنعام: 59]

وقال ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 35]، والغالب اقترانها ب "من" نحو ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ [آل عمران: 8] وقد تجرد منها لقوله "لدن غدوة"[25].

و"(لدن) بمعنى عند إلا أنه أقرب مكانا من عند وأخص منه، وهو مثلها أي عند، يكون اسما لمكان الحضور أو زمانه، غير أنه ملازم لابتداء الغايات الزمانية والمكانية وعند غير ملازمة لمبدأ الغايات تقول جلست عنده لا تقول جلست لدنه، لأنه ليس هذا التعبير مبدأ غاية"[26].

جاء في شرح التسهيل "وعند للحضور أو القرب حسا أو معنى وربما فتحت عينها أو ضمت، ولدن لأول غاية زمان أو مكان وقلما تعدم من، وقد يقال: لدُن، لدَن، لدْن، لُدْن، لُد، لَد، لداً، لُدُن."[27]

---

[18] المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري (216/1).

[19] شرح المفصل، لابن يعيش (136/3).

[20] المرجع السابق (136/3).

[21] المرجع السابق (136/3).

[22] معاني النحو، للسامرائي (180/2).

[23] إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش (83/3).

[24] المرجع السابق (86/3).

[25] همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي (219/2).

[26] معاني النحو، للسامرائي (187/2).

[27] شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك (229/2).

وقد ذكرها ابن الحاجب في الكافية" ومن الظروف، لدن وقد جاء لدن ولدُن ولدَن ولدْ ولُد"[28] وكأن ابن الحاجب يقصد ما قصده ابن مالك والنحاة من تعدد لغات (لدن).

والغالب في لدن أن تلزم حرف الجر (من) قبلها كما بين النحاة. وقد ذكر ابن هشام الأنصاري عدة فروق بين (عند، لدن، لدى) وهي ظروف مكانية "لدن لا تكون إلا فضلة بخلافهما بدليل ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 62]، ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: 4]، وآخر وهو أن جرها بمن أكثر من نصبها حتى أنها لم تجئ في التنزيل منصوبة، وجر عند كثير، وجر لدى ممتنع، وهما معربان وهي مبنية في لغة الأكثر، وقد تضاف للجملة كقوله "لدن شب حتى شاب سود الذوائب"، وقد لا تضاف وذلك أنهم حكوا في غدوة الواقعة بعدها الجر بالإضافة، والنصب على التمييز والرفع بإظهار كان التامة"[29].

ومن حديثنا عن الظروف المبنية السابقة فإننا نستنتج مشابهة بعض الظروف لبعضها بعضاً في علة البناء والتي منها الافتقار إلى الإضافة ومشابهة اسم الموصول واسم الإشارة والإبهام.

وقد وردت كلمة (الآن) في القرآن الكريم سبع مرات، ودلالتها في هذه المواطن السبعة تدل على زمن المتكلم الحاضر أو بعضه، فأما ما ورد في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71].

فقد جاء في تفسيرها "فقال بعضهم: معنى ذلك: الآن بينت لنا الحق فتبيناه وعرفنا أية بقرة عنيت وممن قال ذلك قتادة، وقال بعضهم: ذلك خبر من الله – جل ثناؤه – عن القوم أنهم نسبوا إلى نبي الله موسى– صلوات الله عليه– أنه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة، وممن قال بذلك عبد الرحمن بن يزيد"[30].

أي أنه لم يكن يقول الحق والآن عند زمن تكلمه صار يقول الحق، وهذا دأب بني إسرائيل في الجدال والمراوغة والتشكيك والتكذيب كما عهد عنهم في الكتاب والسنة والواقع القديم والمعاصر، ومن الواضح من سياق الآية الكريمة وتفسيرها أن كلمة (الآن) تدل على زمن المتكلم وقد فصل بين كلام قديم من تكذيبهم لنبي الله موسى، وأنه لم يكن يقول الحق وحاشاه ذلك وبين ما هو آت من ذبحهم للبقرة الصفراء وما كادوا يذبحون.

وفي البحر المحيط "الْآنَ: ظَرْفُ زَمَانٍ، حَضَرَ جَمِيعُهُ أَوْ بَعْضُهُ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِيهِ لِلْحُضُورِ.

وَهُوَ مَبْنِيٌّ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ. وَزَعَمَ الْفَرَّاءُ أَنَّهُ مَنْقُولٌ مِنَ الْفِعْلِ، يُقَالُ: آنَ يَئِينُ أَيْنًا: أَيْ حَانَ"[31]

وقد جاء في إعراب كلمة (الآن): قال أبو إسحق: الآن مبني على الفتح وفيها الألف واللام؛ لأن الألف واللام دخلت لغير عهد تقول: كنت الآن ها هنا فالمعنى إلى هذا الوقت فبنيت كما بني هذا وفتحت النون لالتقاء الساكنين".[32]

وكأن أبا اسحق يوافق البصريين من كونها مبنية لمشابهتها اسم الإشارة كما أسلفنا.

أما الموطن الثاني التي وردت فيه هذه اللفظة فذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 18].

---

[28] الكافية في علم النحو، لابن الحاجب (ص37).

[29] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (208/1).

[30] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (217/2).

[31] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (402/1).

[32] إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المرادي النحوي (61/1).

وقد جاء في تفسيرها "وقوله: وليست التوبة إلخ.... تنبيه على نفي القبول عن نوع من التوبة وهي التي تكون عند اليأس من الحياة؛ لأن المقصد من الغرم ترتب آثاره عليه، وصلاح الحل في هذه الدار بالاستقامة الشرعية، فإذا وقع اليأس من الحياة ذهبت فائدة التوبة"[33].

ومن الواضح أن التوبة عند النزع؛ أي زمن اليأس من الحياة غير مقبولة كما يبين العلماء فكلمة (الآن) تفيد زمن بعض المتكلم وليس زمن المتكلم كله؛ وذلك لأن النزع يكون بطيئا ولا يموت الإنسان لتوه، فالتوبة عند مجرد بعض النزع غير مقبولة وليس لمجرد النزع الأخير والله أعلم.

ويؤكد هذا ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف "وعن مجاهد: من عصى اللَّه فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته مِنْ قَرِيبٍ من زمان قريب، والزمان القريب: ما قبل حضرة الموت. ألا ترى إلى قوله: (حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) فبين أنّ وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراء ذلك في حكم القريب، وعن ابن عباس: قبل أن ينزل به سلطان الموت، وعن الضحاك: كل توبة قبل الموت فهو قريب فكما أنّ المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين، فكذلك المسوّف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما".[34]

والزمخشري وهو من علماء النحو واللغة كما هو معلوم يقرر من خلال تفسيره لهذه الآية أن لفظة الآن أفادت زمن التوبة أو بعضه وهي زمن المتكلم.

وفي الموطن الثالث قال تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 66].

وفي التفسير قال ابن عباس: "لما نزلت هذه الآية ثقل على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفا، فخفف الله عنهم، فقال: "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا"[35].

أي في هذا الوقت الذي ثقل فيه على المسلمين مقاتلة الكفار بهذه النسبة العددية خفف الله عنهم.

وفي الجامع لأحكام القران للقرطبي وهو من التفاسير اللغوية "عن ابن عباس وغيره من الصحابة بأن ثبوت الواحد للعشرة كان فرضا من الله عز وجل على المؤمنين ثم لما شق ذلك عليهم حط الفرض إلى ثبوت الواحد للاثنين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو النسخ لأنه رفع حكم مستقر بحكم آخر شرعي، وفي ضمنه التخفيف، إذ هذا من نسخ الأثقل بالأخف، وذهب بعض الناس إلى أن ثبوت الواحد للعشرة إنما كان على جهة ندب المؤمنين إليه، ثم حط ذلك حين ثقل عليهم إلى ثبوت الواحد للاثنين، وروي أيضا هذا عن ابن عباس، قال كثير من المفسرين: وهذا تخفيف لا نسخ إذ لم يستقر لفرض العشرة حكم شرعي"[36]. أي في هذا الوقت الذي شق عليهم أن يقاتل المسلمون الكفار بهذا العدد خفف الله عنهم فصار الواحد لاثنين، وهذا يقرر وظيفة الظرف الآن الذي يفيد حصول الشيء زمن المتكلم أو بعضه.

أما الموطن الرابع فقد قال الله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: 91]

فالخطاب موجه لطاغية عصره فرعون الذي نشر الفساد في الأرض وتأله على الله- عز وجل- فلما كاد أن يغرق في البحر، قال آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل ولكن فات الفوت وهنا لا تستجاب التوبة وقد جاء في تفسير هذه الآية" وقوله تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ الآية، قال أبو علي: اعلم أن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخففت الهمزة فإن في تخفيفها وجهين: أحدهما أن تحذف وتلقى حركتها على

---

[33] تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الحديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (281/4).

[34] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (489/1).

[35] مختصر تفسير ابن كثير (117/2).

[36] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (46/8).

اللام وتقر همزة الوصل فيه فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيبويه، وحكى أبو عثمان عن أبي الحسن أن ناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزة التي للحمر... قرأ نافع في رواية ورش لم يختلف عنه (الآن) بمد الهمزة وفتح اللام، وقرأ الباقون بمد الهمزة وسكون اللام وهمز الثانية، وقرأت فرقة (الآن) بقصر الهمزة وفتح اللام وتخفيف الثانية وقرأ جمهور الناس (الآن) بقصر الأولى وسكون اللام وهمز الثانية.

قال القاضي أبو محمد: وقراءات التخفيف في الهمزة تترتب على ما قال أبو علي فتأمله، فإن الأولى على لغة من يقول الحمر، وهذا على جهة التوبيخ له والإعلان بالنقمة منه، وهذا اللفظ يحتمل أن يكون مسموعا لفرعون من قول ملك موصل عن الله وكيف شاء الله، ويحتمل أن كون معنى هذا الكلام معنى حاله وصورة خزيه، وهذه الآية نص في رد توبة المعاين".[37]

والمد في لفظة (الآن) توحي بالاستغراب من كون لجوء فرعون إلى التوبة لحظة هلاكه بعد أن أراه الله – عز وجل– من الآيات المبينات والمعجزات الواضحات على أن موسى رسول موحى إليه من عند الله– عز وجل– كما توحي بالتوبيخ لفرعون – لعنه الله – كما أنه من سياق هذه الآية فإن لفظة (الآن) أفادت حدوث الكلام زمن المتكلم وهو الله– عز وجل– فالآن تقر بالعبودية والذلة لله وقد كنت قد عصيته من قبل ونشرت في الأرض الفساد.

وفي الموطن الخامس والأخير قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾. [يونس: 50–51].

وقد جاء في تفسير هذه الآية "وآلْآنَ أصله عند بعض النحاة آن فعل ماض دخلت عليه الألف واللام على حدها في قوله: الحمار اليجدع ولم يتعرف بذلك كل التعريف ولكنها لفظة مضمنة معنى حرف التعريف ولذلك بنيت على الفتح لتضمنها معنى الحرف ولوقوعها موقع المبهم لأن معناها هذا الوقت، وقرأ الأعمش وأبو عمرو وعاصم والجمهور آلْآنَ بالمد والاستفهام على حد التوبيخ، وكذلك آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ".[38]

والسياق يبين جليا دلالة الظرف المبني الآن التي أفادت وقوع الحدث زمن المتكلم.

وفي الموطن السادس وردت كلمة (الآن) في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

وجاء في البحر المحيط في تفسير هذه الآية "فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ مَقَالَتَهُنَّ وَحَيْدَتَهُنَّ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْخِزْيِ قَالَتْ: الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ.

وقرئ حُصْحِصَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، أَقَرَّتْ عَلَى نَفْسِهَا بِالْمُرَاوَدَةِ، وَالْتَزَمَتِ الذَّنْبَ، وَأَبْرَأَتْ يُوسُفَ الْبَرَاءَةَ التَّامَّةَ".[39]

أي، في الوقت الذي سمعت فيه امرأة العزيز إجابة النساء مقطعات الأيدي اعترفت بذنبها وبرأت ساحة يوسف عليه السلام.

ونلحظ من كلمة (حصحص) التي بمعنى بان وظهر دلالة لغوية جميلة تناسب سياق الآية فالفعل الرباعي المضعف أفاد شدة بيان وظهور الحق وهو تنزيه يوسف عليه السلام عن فعل الفاحشة.

والموطن السابع كان في سورة الجن من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: 9].

أي وإنا كنا معشر الجن نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث، وما يكون منها، فمن يستمع الآن فيها منا يجد له شهاب نار قد رصد له به، وأما لفظة (الآن) في الآية فمعناها: أي في هذا الوقت الذي بعث الله فيه نبيهُ حرست السماء ووقوا من ذلك فتفقدت الجن ذلك من أنفسها.

---

[37] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (141/3).

[38] المحرر الوجيز (125/3).

[39] البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (288/6).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد أنهيت بفضل الله – تعالى– هذا البحث الموسوم بـــ (الظرف المبني (الآن) ودلالته في القرآن الكريم)؛ وذلك بعد أن قمت بإحصاء الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الظروف شارحاً لها مبينا دلالته في سياق هذه الآيات محاولاً تبيين جماليات وظيفة النحو ودلالته وأثره على المعنى من خلال هذا الظرف وقد مهدت لذلك بالحديث عن الظرف أو المفعول فيه بإيجاز شديد ثم فصلنا الحديث عن هذا الظرف ودلالته في القرآن الكريم.

وانتهيت إلى عدة نتائج أهمها:

1. الظرف المبني (الآن) لم يستعمل في القرآن الكريم إلا في زمن المتكلم أو بعضه.
2. الظرف المبني (الآن) ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع كان يفصل الحديث فيها بين ما قبل زمن المتكلم وما بعده.
3. ورد هذا الظرف في موطنين من القرآن الكريم بصيغة الاستفهام للدلالة على الاستغراب والاستنكار وهما في سورة يونس في قصة فرعون مع موسى عليه السلام.

ويوصي الباحث طلبة العلم بالانكباب على دراسة النحو الوظيفي ومعاني النحو فإن ما ذكرناه نقطة في بحر دلالة النحو بشكل عام.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن يعيش (1422هـ–2001م): *شرح المفصل للزمخشري*. قدم له د.ت: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان (2010م): *الكافية في علم النحو*. تحقيق: د. صالح الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى.

ابن مالك، محمد بن عبد الله (د. ت): *شرح الكافية الشافية*. تحقيق: عبد المنعم هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.

ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي (1410هـ–1990م): *شرح تسهيل الفوائد*. تحقيق: د. عبد الرحمن السيد وآخرون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ): *لسان العرب*. دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة.

الأنباري، أبو البركات (1424هـ–2003م): *الإنصاف في مسائل الخلاف*. المكتبة العصرية، الطبعة الأولى.

الأنصاري، عبد الله ابن هشام بن يوسف (1985م): *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق: د. مازن المبارك وآخرون، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (1420هـ): *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د. ط..

بن عاشور، محمد بن محمد الطاهر (1984م): *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط..

الباوَرْدي، أبو عمر الزاهد المطرز، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم (د. ت): *العشرات في غريب اللغة*. تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية، عمان، د. ط.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (1407هـ-1987م): *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة.

الدرويش، محيي الدين (1426هـ-2005م): *إعراب القرآن الكريم وبيانه*. اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة التاسعة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (1407هـ): *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1993م): *المفصل في صنعة الإعراب*. تحقيق: د. علي أبو ملحم، مكتبة طلال، بيروت، الطبعة الثالثة.

السامرائي، فاضل صالح (1423هـ-2003م): *معاني النحو*. شركة العاتك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة.

السيوطي، جلال الدين (د. ت): *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د. ط.

الصابوني، محمد (1407هـ): *مختصر تفسير ابن كثير*. دار القرآن، بيروت، الطبعة الثانية.

الطبري، محمد بن جرير (1420هـ-2000م): *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (1384هـ-1964م): *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية.

المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (1422هـ): *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

المرادي، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (1421هـ): *إعراب القرآن*. وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جنى (د. ت): *اللمع في العربية*. تحقيق: د. فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د. ط.

النجار، عبد العزيز (1422هـ): *ضياء السالك إلى أوضح المسالك*. مؤسسة الرسال، الطبعة الأولى.

اليمني، نشوان بن سعيد (1420هـ-1999م): *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: د. حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.